

انتشار الدعوة الفاطمية في العراق وموقف العباسيين منها^(١)

الدكتور فاضل الخالدي

الموسم

لم تكن الدعوة الفاطمية في بلاد العراق خلال القرن الخامس الهجري وليدة العصر، وإنما تعود بأصولها ونشاطها إلى أواخر القرن الثاني حيث عمد دعاة الاسماعيليين^(٢) الأوائل إلى الاختفاء حتى لا يتعرضوا للضرر والأذى من ناحية العباسيين ومن هؤلاء الدعاة عبد الله بن ميمون القداح^(٣) الذي كان يقوم بالدعوة للإمام عبد الله بن الرضى بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق.

ولما وقف رجال الدولة العباسية في بغداد على نشاطه أمروا عمالهم في الأقاليم بالقبض على ابن ميمون الذي استطاع مع داعية آخر يعرف بالحسين الأهوازي الفرار إلى «سلمية»^(٤) حيث اتخذها «دار هجرة» ومركزاً رئيسياً لانتفاذ الدعاة إلى العراق وغيره من أرجاء العالم الإسلامي^(٥).

(١) الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري: القاهرة ١٩٦٦ (بغداد ١٩٦٩) ص ٦٩ - ١٠١. الكاتب من الباحثين العراقيين. من أهل الموصل وله كتب وأبحاث عديدة منها: رسالته للدكتوراه في كلية الآداب - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢ بعنوان: «النظم في العراق في أواخر العصر العباسي ٤٤٧ - ٦٥٦ هـ، ومنها كتاب عن الشاعر العراقي عبد الخالق فريد، وغيرها.

(٢) وهي فرقة من الشيعة عرفت بذلك نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق وكان أكبر أخوته وتوفي في حياة أبيه، وتدعو هذه الفرقة إلى أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه اسماعيل ثم إلى بنيه من بعده.

(انظر: الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ١٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠).

(٣) كان عبد الله ووالده، من أتباع جعفر الصادق. وحينما اتصل ميمون القداح بالغلاة الذين كان يتزعمهم أبو الخطاب واسماعيل بن جعفر الصادق. عهد إليه بدور مهم في التنظيم السري الذي كان قائماً آنذاك. وبعد أن قتل أبي الخطاب انتهت إلى ميمون قيادة التنظيم والدعوة، كما عهد إليه تربية محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق.

ولما توفي ميمون تولى ابنه عبد الله زعامة الدعوة حيث نظمها ببراعة مدهشة ووضع لها نظام التنشئة على سبع درجات، وكان يمتاز بدهاء نادر ولباقة غريبة ومعرفة عميقة لقلوب الناس. وكان واسع الإطلاع في جميع المذاهب والأديان، كما: كان بارعاً في طب العيون والكيمياء وأعمال التنجيم.

(انظر: بندلي جوزي: تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص ١٢٠) الدوري: في العصور العباسية المتأخرة ص ١٣١ - ١٣٢.

(٤) بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة ببلاد الشام. (ياقوت: معجم البلدان ج ٥ ص ١٩٣).

(٥) المقرئزي: تعاضد الحنفا ص ٢٠٠ - ٢٠٤.

الدكتور جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص ٧٢.

ولما توفي عبد الله بن ميمون خلفه في رئاسة الدعوة ولده أحمد، فأرسل الحسين الأهوازي إلى العراق حيث تمكن من نشر الدعوة الاسماعيلية في بلاد السودان^(٦) ومهد لظهور حركة القرامطة^(٧) في بلاد العراق السفلى، وكانت دعوتهم تشابه دعوة الاسماعيلية^(٨).

أخذت الدعوة الاسماعيلية في الانتشار في كثير من أنحاء العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري فظهرت في اليمن على يد ابن حوشب وفي البحرين على يد أبي سعيد الجنابي، وفي بلاد المغرب على يد أبي عبد الله الشيعي وفي مصر على يد أبي علي الداعي^(٩).

ولما نجح الفاطميون في إقامة خلافتهم بلاد المغرب أرسلوا دعائهم إلى كثير من ولايات الدولة العباسية، بل إن عبيد الله المهدي اتخذ له دعاة في مدينة بغداد كانوا يمدونه بأخبار العباسيين، وبذلك هؤلاء نشاطا كبيرا في نشر دعوتهم، ونوه الخليفة المعز لدين الله^(١٠) بذيوع الدعوة الفاطمية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي في كتابه الذي أرسله إلى الحسن بن أحمد زعيم القرامطة ببلاد البحرين بعد أن انحرف عن الفاطميين وصار معاديا لهم^(١١)، فقد جاء في هذا الكتاب: «فما من جزيرة^(١٢) في الأرض، ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون لنا، ويدلون

(٦) وهي رستاق العراق وضياعا التي افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب وتشمل بلاد بابل حتى أسوار الكوفة. وتعد من أخصب بلاد الأرض وسميت بذلك لأنها مغطاة بالزرع والنخيل والأشجار.

(ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ١٥٩).

(٧) عرفوا بذلك نسبة إلى أحد زعمائها هو حمدان بن الأشعث الملقب بحمدان قرمط.

(المقريزي: اتعاظ الحنفا ص ٢٠٤).

(٨) ذكر المقريزي أن الحسين الأهوازي لما خرج داعية إلى العراق لقي حمدان بن الأشعث قرمط بسواد الكوفة ومعه ثور ينقل عليه، فتماشيا ساعة، فقال حمدان للحسين: إني أراك جئت من سفر بعيد وأنت معي فاركب ثوري هذا، فقال الحسين: لم أؤمر بذلك، فقال له حمدان: أنك تعمل بأمر امر لك، قال: نعم، قال ومن يأمر بك؟ قال: مالي ومالك ومن له الدنيا والآخرة. فبهت حمدان قرمط يفكر، ثم قال له: يا هذا! ما يملك ما ذكرته إلا الله. قال صدقت، والله يهب ملكه لمن يشاء قال حمدان: فما تريد في القرية التي سألتني عنها؟ وكان الحسين لما رأى قرمط في الطريق سألته كيف الطريق إلى (قس بهرام)، يعرفه قرمط أنه قاصدا إليه..

فلما قال للحسين ما تريد في القرية التي سألتني عنها؟ قال: دفع إلي جراب فيه علم وسر من أسرار الله، وأمرت أن أشتري هذه القرية وأعتني بأهلها واستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابهم. وابتدأ بدعوته، ولما حضرته الوفاة جعل مقامه حمدان بن قرمط وكان ذكيا داعية، وكان من أكبر دعائه (عيدان) وكان قطننا خبيثا خارجا عن طبقة نظراته من أهل السودان... ولا يظهر غير التشيع والعلم يدعو إلى الإمام من آل رسول الله... (انظر: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ص ٢٠٤، ٢١٢).

(٩) الدكتور حسن إبراهيم حسن: كتاب عبيد الله المهدي ص ٤.

(١٠) وهو أبو تميم معد بن اسماعيل المنصور بن محمد بن المهدي. (ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب ص ٧٩).

(١١) المقريزي: اتعاظ الحنفا ص ١٣٩.

(١٢) نظم الإسماعيلية الدعاية تنظيما دقيقا يقوم على نظام دورة الفلك. فقسّموا العالم إلى اثني عشر قسما وسموا كل قسم منه (جزيرة) لأن السنة تتألف من اثني عشر شهرا، وجعلوا على كل جزيرة من هذه الجزر داعيا لقب داعي دعاة الجزيرة أو حجة الجزيرة، وجعلوا لكل جزيرة ثلاثين داعيا تقريبا لمساعدة داعي دعاة الجزيرة في نشر الدعوة، لأن الشهر يتألف من ثلاثين يوما، وجعلوا لكل نقيب أربعة وعشرين داعيا، اثني عشر منهم ظاهرا كظهور الشمس بالنهار، واثني عشر محجوبا مستترا استتار الشمس بالليل، لأن اليوم يتألف من أربع وعشرين ساعة نصفها في الليل والنصف الآخر في النهار. (الدكتور محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية ص ١٣٤).

علينا، ويأخذون تبعتنا. ويذكرون رجعتنا، وينشرون علمنا، ويندرون بأسنا ويبشرون بأيامنا بتصاريف اللغات، واختلاف الألسن. وفي كل جزيرة واقلية رجال منهم يفقهون، وعندهم يأخذون: وهو قول الله عز و جل: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم»^(١٣).

على الرغم من يقظة العباسيين تجاه الدعوة الفاطمية في بلاد العراق وموقفهم الصارم ممن يشك في ولائه لهم، فإن دعاة الفاطميين وأنصارهم اتخذوا الحيلة لأنفسهم. فقد ذكر ابن الأثير أنه «جاء إنسان إلى علي بن عيسى^(١٤) وأخبره أن في جيرانه رجلاً من شيراز على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر بالأخبار، فأحضره وسأله واعترف، وقال: ما صحبت أبا طاهر إلا لما صَحَّ عندي أنه على الحق، وأنت وصاحبك - أي الخليفة العباسي - كفار، تأخذون ما ليس لكم ولا بدُّ لَّه من حجة في أرضه. وإمامنا المهدي فلان بن فلان بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، المقيم ببلاد المغرب^(١٥) فقال له علي بن عيسى: قد خالطت عساكرنا وعرفتكم، فمن منهم على مذهبك؟ فقال: وأنت بهذا العقل تدبر الوزارة كيف تطمع من أنني أسلم قوماً مؤمنين إلى قوم كافرين يقتلونهم؟ لا أفعل ذلك»^(١٦).

وكان القرامطة وأنصار الدعوة الفاطمية يجتمعون في مسجد براثا ببغداد، ويذكر ابن الجوزي أنه كانت لهم خواتيم من طين أبيض يختمها الكعكي^(١٧) وعليها «محمد بن إسماعيل الإمام المهدي ولي الله»، وكان رجال الدولة في بغداد يعرفونهم بهذه الخواتيم فيقبضون عليهم^(١٨). كذلك كشف المعز لدين الله الفاطمي عن طموحه في بسط سيادته على العراق لرسول الامبراطور البيزنطي الذي جاء إلى مصر قبيل وفاته سنة ٣٦٠هـ في حديثه معه، إذ قال له: «أتذكر إذ أتيتني رسولا وأنا بالمهدية، فقلت لك لتدخل علي بغداد وأنا خليفة»^(١٩).

وكان الخليفة العزيز بالله ينتهز كل فرصة لتحقيق أطماع الفاطميين في التوسع ونشر الدعوة الفاطمية في بلاد العراق والقضاء على الخلافة العباسية، فحين خرج «بكجور»^(٢٠) على طاعة سعد الدولة بن حمدان، وأعلن ولاءه للفاطميين بعث إلى الخليفة الفاطمي كتاباً يوجه فيه نظره إلى أهمية الاستيلاء على حلب التي كان الحمدانيون يبسطون سلطانهم عليها، ومما جاء فيه: «أنها دهليز العراق ومتى أخذت كان ما بعدها أسهل منها». «أي بلاد العراق»^(٢١) فكتب العزيز بالله إلى والي طرابلس وإلى غيره من الولاة في بلاد

(١٣) المقريزي: انعاظ الحنفا ص ١٣٩.

(١٤) كان وزيراً للخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ).

(١٥) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٦٨.

(١٦) نفس المرجع.

(١٧) أحد زعماء الشيعة وكان يدعو إلى مذهب القرامطة.

(١٨) بندلي جوزي: تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص ١٧٥ - ١٧٦.

(١٩) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٢٢٠. الدكتور جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص ٧٧.

(٢٠) كان قائداً من قواد الحمدانيين في بلاد الشام.

(٢١) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٣٥.

الشام أن يسيروا العساكر إلى بكجور للاستيلاء على حلب تمهيدا لمد نفوذهم إلى العراق^(٢٢). وقد استطاع العزيز بالله بفضل اهتمامه بأمر الدعوة وانفاقه الأموال الكثيرة لهذا الغرض، أن يستميل بعض أمراء العرب في أعالي العراق إلى جانب الدولة الفاطمية، ففي المحرم من سنة ٣٨٢هـ أعلن أبو الدرداء محمد بن المسيب العقيلي حاكم الموصل ولاءه للفاطميين، فأقام الخطبة في الموصل للعزيز بالله، وأمر أن ينقش اسمه على الإعلام والسكة^(٢٣).

ولما توفي العزيز بالله سنة ٣٨٦هـ خلفه ابنه أبو علي منصور الذي لقب بالحاكم بأمر الله، فلم يدخر جهدا في سبيل نشر الدعوة في بلاد العراق، وفي كثير من أرجاء العالم الإسلامي. ومما ساعده على ذلك: ضعف الخلافة العباسية في بغداد واستبداد بني بويه بالسلطة فضلا عن قيام الفتن المذهبية بين أهل السنة والشيعة في العراق، ففي سنة ٣٩٨هـ دعا أهل الشيعة في بغداد إلى مناصرة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي وصاحوا «يا حاكم يا منصور»، فاستاء من ذلك الخليفة القادر بالله العباسي، وأمد السنين بفريق من حرسه، فهزموا أهل الشيعة، وأحرقوا بعض محلاتهم، ثم اجتمع أشراف الشيعة ورؤسائهم، وسألوا الخليفة العباسي العفو عما فعله السفهاء منهم، فعفا عنهم^(٢٤).

ولعل أخطر ما تعرضت له الخلافة العباسية في عهد الحاكم بأمر الله. هو خروج أمير الموصل «قرواش بن المقلد أهل الموصل وأظهر طاعة الحاكم بأمر الله، وعرفهم ما عزم عليه من إقامه الدعوة له ودعاهم إلى قبول ذلك^(٢٥)» ثم أحضر الخطيب وخلع عليه قباء ديبقيا وعمامة صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين وقلده سيفا^(٢٦)، وأعطاه نسخة ما يخطب به^(٢٧). أمر «قرواش» عماله في البلاد التي كانت في حوزته أن يقيموا الدعوة الفاطمية فيها^(٢٨)، فخطب للحاكم بأمر الله في كل من الأنبار والقصر^(٢٩) والمدائن والكوفة والجامعين^(٣٠) وغيرها، مما حمل

(٢٢) نفس المرجع.

(٢٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢١ - ١٢٢.

(٢٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢٥) ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٤٩.

ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٩٢.

(٢٦) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٦ - ٢٢٨.

(٢٧) ومما جاء في الخطبة: اللهم وصل على وليك الأزهر وصديقك الأكبر علي بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين المهديين، اللهم وصل على السبطين الطاهرين الحسن والحسين وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار. من أقام وظهر ومن خاف فاستتر. اللهم وصل على الإمام المهدي بك. والذي بلغ أمرك وأظهر حجتك ونهض بالعدل في بلادك. اللهم وصل على القانم بامرک والمنصور بتصرک، اللذين بذلا نفوسهما في رضاتك وجاهد أعداءك. اللهم وصل على المعز لدينك المجاهد في سبيلك... اللهم وصل على العزيز بك الذي مهدت به البلاد وهديت به العباد. اللهم واجعل صلواتك وزواكي وبركاتك على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحسن الإيمان وصاحب الدعوة العلوية والملة النبوية عبدك ووليک المنصور أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين.....

(انظر: أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٤٩ - ٢٥١).

(٢٨) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢٩) مدينة كبيرة تقع بين بغداد والكوفة وتعرف بقصر ابن هبيرة.

(٣٠) مدينة على الفرات تقع في أرض بابل على طريق بغداد - الكوفة.

العلويين والعباسيين المقيمين بالكوفة على الهرب إلى بغداد^(٣١).

ولما رأى الخليفة القادر بالله العباسي إن إنتشار الدعوة الفاطمية في بعض بلاده يشكل خطراً جدياً على خلافته أنفذ إلى الأمير البويهى «بهاء الدولة» القاضي أبا بكر الباقلائي ليطلعه على حقيقة الموقف^(٣٢) ويبدو أن بهاء الدولة أدرك خطورة النفوذ الفاطمي في بلاد العراق على دولة بني بويه، وقد عبّر عن ذلك حين قال لرسول الخليفة العباسي:

«والله إن عندنا من هذا الأمر أكثر مما عند أمير المؤمنين لأن الفساد علينا به أكثر... وإن دعت الحاجة إلى سيرنا كنا أول طالع على أمير المؤمنين»^(٣٣). ثم كتب بهاء الدولة إلى عميد الجيوش^(٣٤) يأمره بالمسير إلى حرب قرواش بن المقلد، وأطلق له مائة ألف دينار يستعين بها على نفقات العسكر، ثم خلع على القاضي أبي بكر الباقلائي وولاه قضاء عمان والسواحل^(٣٥).

ولما عرف قرواش بعزم الأمير البويهى على محاربته أوقف الدعوة الفاطمية في بلاده، وخطب للقادر بالله وبعث إلى عميد الجيوش يعتذر له^(٣٦) وكان الحاكم بأمر الله قد بعث إلى قرواش ثلاثين ألف دينار لقاء إقامة الخطبه له، فلما وصل رسول الخليفة الفاطمي إلى الرقة وعلم بإعادة الخطبة للخليفة العباسي في الموصل وأعمالها، امتنع عن المسير إلى قرواش وسلم ما معه من النقود إلى والي الرقة، وكان من عمال الفاطميين^(٣٧).

ولم تقف جهود الخليفة القادر بالله العباسي في مناهضة الدعوة الفاطمية عند هذا الحد، بل عمد - بعد أن بلغه ما لقيته هذه الدعوة من نجاح في العراق وامتداد النفوذ الفاطمي إلى كل من مكة والمدينة، إلى سلاح التشهير بالفاطميين والطعن في نسبهم للغض من شأنهم أمام العالم الإسلامي، فعقد في ربيع الآخر من سنة ٤٠٢ هـ مجلساً حضره الفقهاء والقضاة والشهود والأشراف، وأصدروا محضراً يتضمن الطعن في نسب الخلفاء الفاطميين والتشهير بعقائدهم، وقد وقع عليه جميع من حضر، وكان من بين الموقعين عليه فريق من فقهاء الشيعة وأشرافهم، وقد قرأت نسخ من هذا المحضر في بغداد والبصرة^(٣٨).

(٣١) ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٥١. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٣٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٥١.

(٣٣) نفس المرجع.

(٣٤) هو أبو علي الحسين بن أبي جعفر. إن أبود من حجاب عضد الدولة وجعل ابنه هذا يرسم صمصام الدولة، وبهاء الدولة، فولاد بهاء الدلة العراق.

() أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٨.

(٣٥) السواحل: إمارات الجنوب العربي.

(٣٦) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٩٢.

(٣٧) ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٥١.

(٣٨) ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٩٨.

ويبدو أن الشريف الرضي لم يكن من بين الموقعين على المحضر. ولعل ميله إلى الفاطميين كان من أكبر الأسباب التي حملته على الامتناع عن توقيع هذا المحضر. فقد ذكر هلال بن الصابي وقد ذكر ابن الأثير أن القادر بالله عقد مجلسا واستدعى إليه الشريف الطاهر أبا أحمد الموسوي وأبرز إليه أبياتا من الشعر^(٣٩) نسبت إلى ابنه الشريف الرضي، وفيها ينكر «الرضي» على نفسه مقامه في بلد الأعداء الذين هم بني العباس ويحن ويتشوق إلى العيش في ظل الخلافة العلوية في مصر^(٤٠). وكان مما دار في مجلس الخليفة أن كاتب^(٤١) الخليفة قال للشريف أبي أحمد الموسوي: «أي هوان قد أقام عندنا؟ وأي ضيم لقي من جهتنا؟ وأي ذل أصابه في مملكتنا؟ وما الذي يعمل به صاحب مصر لو مضى إليه؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنيعتنا؟ وجعلناه أمير الحجيج، فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا؟ ما يظنه كان يكون- لو حصل عند- إلا واحدا من أبناء الطالبين بمصر»^(٤٢).

أنكر والد الشريف الرضي أن تكون هذه الأبيات من شعر ولده. واحتج على ذلك بأنها من صنع أعدائه، وأنهم نسبوها إليه نكايه به. ثم أمر الخليفة القادر أن يكتب محضرا فلما فرغ منه وقعه الحاضرون وكان من بينهم الشريف أبو أحمد الموسوي. وولده أبو القاسم المرتضى وفريق من فقهاء الشيعة وأعيانهم. فلما أرسل إلى الشريف الرضي للتوقيع عليه إمتنع عن ذلك وقال: «لا أكتب وأخاف دعاة مصر. وأنكر الشعر»^(٤٣) وحينما ألح والده عليه قال: «أخاف دعاة المصريين وغيلتهم فإنهم معروفون بذلك». فأجابه والده عندئذ: «يا عجباً أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة مائة ذراع»، وأقسم أن لا يكلمه وكذلك المرتضى خوفا من الخليفة القادر^(٤٤).

على أن الخليفة القادر أراد أن يربط بين محاربته للدعوة الفاطمية وبين الفرق الدينية

(٣٩) قال الشريف الرضي:

مقول صارم وأنف حمي

ما مقامي على الهوان وعندي

وبمصر الخليفة العلوي

البس الدل في بلاد الأعادي

إذا ضامني البعيد القصي

من أبود أبي ومولاد مولاي

جميعا: محمد وعلي

لف عراقي بعرقه سيد الناس

واوامي بذلك الربع ري

إن ذلي بذلك الحي عز

(٤٠) المقرئزي: اتعاط الحنفا ص ٣٥-٤٠. الشريف الرضي والشريف المرتضى لهما زعامة الشيعة الحقيقية في ذلك العصر وهما... بنص الكاتب لم يوقعا على منشور السلطان في نسب الفاطميين أما ما ذكره الكاتب حول توقيع عدد من علماء الشيعة وأشرفهم على الكتاب فلا يتعدى عدد من وعاضد السلاطين الذين يسيرون في ركاب السلطة مما لا يخلو منهم أي زمان ومكان. إذا صح فعلا أن هناك من ينتسب إلى الشيعة منهم (مجلة الموسم - محمد سعيد الطريحي).

(٤١) هو عبد العزيز بن حاجب النعمان الذي كتب للقادر بالله وللنعمان.

(٤٢) المقرئزي: اتعاط الحنفا ص ٣٥-٤٠.

(٤٣) المقرئزي: اتعاط الحنفا ص ٣٥-٤٠. وهذه الرواية على غلاتها تدل على الخوف الذي كان يهيمن على زعامات الشيعة من السلطان العباسي. فهم حتى إذا ماوقعوا على وثيقة التبرئ من الفاطميين وهذا ما لا يصح عندنا فهو إذا وقع من ناحية الإجبار والخوف من عاقبة سوء التي تترصد لهم من القادر بالله «الموسم - محمد سعيد الطريحي».

(٤٤) نفس المصدر.

التي ذاعت مذاهبها وقتذاك في بلاد العراق، وغيرها من البلاد الإسلامية فعمل على مناهضة تلك المذاهب لصلتها بمبادئ الشيعة وبذلك تيسر له الاحتفاظ بسيادة مذهب أهل السنة الذي كان الخليفة العباسي يعتبر نفسه راعيا له، ومسؤولا عن حمايته لها. ففي سنة ٤٠٨ هـ استتاب القادر بالله فقهاء المعتزلة، فقتلوا من الاعتزال. كما نهاهم عن التدريس والمناظرة وأخذ تواقيعهم على ذلك، وهددهم بعقاب صارم إن هم خالفوا وأمره^(٤٥).

وكان الخليفة القادر يبعث بنسخ هذه الأوامر إلى الأقاليم الإسلامية التي يدين حكامها بمذهب أهل السنة فاستجاب لدعوته السلطان الغزنوي «محمود بن سبكتكين» واستن بسننه في البلاد الخاضعة له، فأمر بقتل عدد من المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة. كما أمر بسجن عدد منهم وأبعد كل طائفة ظن أنها من أهل البدع، وأمر بلعنهم على منابر المسلمين^(٤٦).

وليس أدل على اهتمام القادر بالله بالاحتفاظ بسيادة مذهب أهل السنة في العراق من مشاركته في الحركة الفكرية المناهضة لمذاهب الفرق الدينية الأخرى. فقد ذكر ابن الجوزي أن القادر بالله ألف كتابا في الأصول على مذهب أهل الحديث كان يقرأ ويشرح كل يوم جمعة في جامع المهدي أمام الطلبة الذين يدرسون الحديث^(٤٧). كما ألف كتابا آخر سنة ٤٢٠ هـ قرأه على القضاة والشهود والفقهاء والوعاظ، شرح فيه المبادئ الأساسية للدين الصحيح وفضل مذهب أهل السنة وطعن في المعتزلة وفند آراءهم وما شابهها. ثم أخذت تواقيع الحاضرين^(٤٨). ولم يكتف الخليفة القادر بذلك بل عزل جميع أئمة الشيعة من المساجد، وعين مكانهم أئمة من أهل السنة^(٤٩) رغبة في وقف النفوذ الفاطمي في العراق. كما أمر بعدم التعامل بالدنانير المغربية وطلب من الشهود أن لا يشهدوا في كتاب ابتياع ولا مداينة يذكر فيها هذا الصنف من النقود، فاضطر الناس إلى تركها والتعامل بالنقود القادرية والنيسابورية^(٥٠).

وعلى الرغم من الموقف الحازم الذي وقفه القادر بالله من الدعوة الفاطمية فإن الخلفاء الفاطميين واصلوا جهودهم في نشر دعوتهم، وكانوا يبعثون بدعاتهم إلى البلاد الإسلامية وإلى بلاد العراق بصفة خاصة، فلما ساد الاضطراب بلاد العراق في مستهل القرن الخامس الهجري بسبب تنافس أمراء بني بويه على السلطة، وازدياد نفوذ الأتراك، وتدخلهم في توليه أمراء بني بويه وعزلهم، استغل «الظاهر لا عزاز دين الله» الفاطمي تلك الظروف فأرسل في ٤١٥ هـ كتابا إلى

(٤٥) ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٨٧.

(٤٦) نفس المرجع.

(٤٧) المنتظم ج ٨ ص ١٠٩.

(٤٨) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٤١ ٤٢.

فون كريمر: الحضارة الإسلامية ص ١٤٦ ١٤٧.

(٤٩) فون كريمر: الحضارة الإسلامية ص ١٤٦ ١٤٧ (تعليقات خدا بخش).

(٥٠) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٨٨.

السلطان محمود الغزنوي يدعو فيه إلى الدخول في طاعته والخطبه له في بلاده بدلاً من الخليفة العباسي^(٥١)، كما أرسل إليه خلعا فاطمية نفيسة^(٥٢) غير أن السلطان محمود لم يستجب لهذه الدعوة وأرسل كتاب الخليفة الفاطمي إلى بغداد، كما أرسل معه الخلع والهدايا الفاطمية. وكتب إلى القادر بالله يقول: «إنه الخادم المخلص الذي يرى الطاعة فرضاً، ويتبرأ من كل ما يخالف الدولة العباسية»^(٥٣)، ولما وصلت الخلع إلى بغداد أمر الخليفة العباسي بإحراقها، فأحرقت بباب النوبي بمشهد من كاتب الخليفة والحجاب والعوام^(٥٤).

وكان السلطان محمود الغزنوي قاسياً على خصوم الخلافة العباسية. وقد أسرف في إلحاق الأذى بهم، فلما دخل الري في جمادى الأولى من سنة ٤٢٠ هـ قتل كثيراً من أهل التشيع والباطن^(٥٥)، ويبدو ذلك واضحاً مما ذكره ابن الجوزي من أن «الباطنية صلبوا على شارع مدينة طال.. وقد كانوا بذلوا أموالاً جمة يفتدون بها نفوسهم، فعرفوا أن الغرض نهب نفوسهم وحول رستم بن علي الديلمي وابنه وجماعة من الديالمة إلى خراسان. وضم إليهم أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلص الناس من فتنهم.. وحول من الكتب خمسون حملاً ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض فإنها أحرقت تحت جذوع المصلوبين. إذ كانت أصول البدع فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة والروافض. وانتصر أهل السنة فطالع العبد بحقيقة ما يسره الله تعالى لأنصار الدولة القاهرة»^(٥٦). على أن الدعوة الفاطمية لم يقض عليها في العراق رغم تلك الجهود التي بذلها الخليفة القادر بالله لمناهضتها فقد أرسل الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله الفاطمي سنة ٤٢٥ هـ الدعاة الفاطميين إلى بغداد، مستغلاً الاضطراب الذي ساد هذه المدينة من جراء النزاع بين أمراء بني بويه والخلاف بين جند الأتراك. فاستجاب لهم كثير من الناس^(٥٧). على أن الدعوة الفاطمية في بلاد العراق لقيت نجاحاً كبيراً في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي، بفضل النشاط الذي بذله الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي^(٥٨) الذي قام بنشر الدعوة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي، واستطاع أن يجذب إلى الدعوة الفاطمية كثيراً من الديلم^(٥٩)، كما نجح في استمالة الأمير أبي كاليجار إلى الدعوة^(٦٠)، مما اضطر الخليفة

(٥١) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١٦.

(٥٢) نفس المرجع.

(٥٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١٦ ٢١ ٢٢.

(٥٤) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٥٩.

(٥٥) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٣٩ ٤٠.

(٥٦) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٣٩ ٤٠.

(٥٧) المقرئزي: أتعاط الحنفا ص ٢٧٦.

الدكتور جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص ٨٩.

(٥٨) هو داعي الدعوة المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠ هـ.

(٥٩) هبة الله الشيرازي: السيرة المؤيدية ص ٥٥. BOWEN: THE LAST BUWAYHIDS P 243.

(٦٠) هبة الله الشيرازي: السيرة المؤيدية ص ٤٣. الدكتور محمد كامل حسين: ديوان المؤيد في الدين داعي الدعوة ص ٢٥ ٢٧.

العباسي بعد أن رأى الخطر الذي يهدد دولته من جراء نشاط الداعي هبة الله الشيرازي - أن يطلب من الأمير البويهري سنة ٤٣٥ هـ تسليم داعي الفاطميين^(٦١)، كما هدده بالاستعانة بالسلاجقة إذا ما استمر النشاط الفاطمي في بلاد فارس والأهواز^(٦٢)، فاضطر الأمير أبو كاليجار إلى إنفاذ رسالة إلى هبة الله الشيرازي، حذره فيها من عاقبة بقائه في شيراز^(٦٣). وكان أبو كاليجار يرمي من تقربه إلى الفاطميين إرهاب العباسيين حتى لا يحاولوا الاستعانة بالسلاجقة الذين صاروا يهددون النفوذ البويهري. كان القائم بأمر الله يدرك الخطر الذي صار يهدد الخلافة العباسية من جراء ذبوع الدعوة الفاطمية في بلاد العراق وبعض الأقطار الإسلامية، فلجأ إلى سلاح التشهير بالخلفاء الفاطميين و الطعن في نسبهم، وأنهم ليسوا من أهل البيت. وقد وقع على هذا المحضر الفقهاء والقضاة والأشراف والشهود وأرسلت نسخ منه إلى البلاد الإسلامية^(٦٤)، كذلك أصدر الخليفة القائم محضراً آخر في سنة ٤٤٨ هـ وكان الغرض منه تنفير القلوب من الفاطميين وجمع القلوب حول العباسيين^(٦٥).

تأثر بعض أمراء بني بويه بالدعوة الفاطمية.

كان البويهيون من الشيعة الزيدية، ومن ثم مالوا إلى الدعوة الفاطمية، بل فكروا في إقامة خلافة شيعية بدلاً من الخلافة العباسية السنية ويذكر ابن الأثير أن معز الدولة ابن بويه حاول أن ينقل الخلافة إلى المعز لدين الله الفاطمي أو لغيره من العلويين سنة ٣٣٤^(٦٦) غير أن بعض خواصه حذره من سخط الناس، فعدل عن تنفيذ هذه الفكرة لما قد يتعرض له نفوذه من ضعف بسبب وجود خلافة علوية يطيعها الجند من الديلم ويكونون أداة في يد الخليفة يستغلها لمصلحته متى شاء^(٦٧) وأثر معز الدولة أن يستبد بالسلطة مع خليفة عباسي ضعيف على أن يكون تابعاً لخليفة يعترف بإمامته^(٦٨) وسار على هذه السياسة أمراء بني بويه الذين خلفوه، فلم يحاولوا نقل الخلافة إلى أحد العلويين، لكنهم ظلوا على اتصال بالفاطميين، فتبدلت الرسائل الودية بين الأمير عضد الدولة (٣٦٧ - ٣٧٢ هـ) وبين الخليفة الفاطمي العزيز بالله، وقد كشف الأمير البويهري في إحدى هذه الرسائل عن إخلاصه وولائه للعزيز بالله، كما اعترف له بإمامته وانتسابه إلى آل البيت^(٦٩) وقد سر الخليفة الفاطمي سروراً كبيراً بتلك الرسالة ويبدو ذلك واضحاً من

(٦١) كان رسول القائم بأمر الله إلى الأمير أبي كاليجار أبا القاسم بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء.

(٦٢) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ص ٥٦.

(٦٣) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ص ٦٤ - ٦٨.

(٦٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١٥٥ - ابن ميسر: تاريخ مصر ج ١ ص ٦٠.

(٦٥) ابن ميسر: تاريخ مصر ج ١ ص ٣٧.

الدكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٣١.

(٦٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٧٧.

(٦٧) مسكويه: تجارب الأمم ج ٢ ص ٨٧.

(٦٨) الدكتور جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص ٨٠.

(٦٩) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٤ - ١٢٥.

الدكتور جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص ٨٢.

الرسالة التي حملها رسول العزيز بالله إلى الأمير عضد الدولة سنة ٣٦٩هـ، رداً على رسالة الأمير البويهى، وقد جاء فيها: «من عبد الله ووليه نزار أبي منصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة الإمام نصير ملة الإسلام أبي شجاع بن أبي علي. سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله الصلاة على جده محمد رسول رب العالمين وحجة الله على الخلق أجمعين. صلاة باقية نامية متصلة دائمة بعترته الهادية، وذريته الطيبة الطاهرة. وبعد فإن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك، فأدى ما تحمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك و معرفتك بحق إمامته، ومحبتك لأبائه الطائعين الهاديين المهديين. فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك، ووافق ما كان يتوسمه فيك وإنك لا تعدل عن الحق.. وقد علمت ما جوى على ثغور المسلمين من المشركين، وخراب الشام وضعف أهله وغلاء الأسعار ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور وسوف يقدم إلى الحيرة وكتابه يقدم عليك عن قريب فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله»^(٧٠).

وقد استقبل عضد الدولة رسول العزيز بالله استقبالا حافلا في بغداد حتى أن الخليفة العباسي جلس للأمير البويهى جلوسا عاما حضره الأشراف وكبار رجال الدولة حيث أظهر الأمير البويهى أمام رسول الخليفة الفاطمي الذي حضر مجلس الخليفة احتراما كبيرا للطائع لله، وذلك بأن تقدم وقبل الأرض على دفعات، مما أثار دهشة الرسول الفاطمي^(٧١) كما أن عضد الدولة كتب رده على رسالة العزيز بالله، حيث أكد الأمير البويهى مرة أخرى طاعته للخليفة الفاطمي واستعداده لتنفيذ أوامره^(٧٢). على أن تلك العلاقة الودية بين الأمير البويهى عضد الدولة والخليفة الفاطمي العزيز بالله ما لبثت أن تبدلت بعد أن تبين للأمير البويهى خطر الدولة الفاطمية على سلطان بني بويه^(٧٣) وليس أدل على ذلك مما ذكره أبو منصور البغدادي^(٧٤) من أن عضد الدولة تآهب للسير إلى مصر وانتزاعها من أيدي الباطنية وكتب على أعلامه «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين، الطائع لله أمير المؤمنين، أدخلوا مصر إن شاء الله آمين...» غير أن هذه المحاولة لم تتم بسبب وفاة عضد الدولة، وقيل أن تبدل سياسة عضد الدولة نحو الفاطميين يرجع إلى الشكوك ساورتها في نسبهم في أواخر عهده. فقد دعا الأمير البويهى كبار رجال الشيعة في بغداد وقال لهم: إن الخليفة بمصر يدعي أنه علوي، فأنكر هؤلاء انتسابه إليهم فأرسل عضد الدولة عندئذ إلى العزيز بالله

(٧٠) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٢٤ - ١٢٥. سبط بن الجوزي: مراة الزمان حوادث، سنة ٣٦٩هـ.

(٧١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٧٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٢٥.

وقد علق أبو المحاسن على ذلك بقوله: «وأنا أتعجب من كون عضد الدولة كان إليه أمر الخليفة العباسي ونهيه ويقع في مثل هذا لخلفاء مصر وقد علم كل أحد ماكان بين بني العباس وخلفاء مصر من الشنآن. وما أظن عضد الدولة كتب ذلك إلا عجزا عن مقاومته فانه قرأ كتابه في حضرة الخليفة الطائع وأجاب بذلك أيضا بعلمه. فهذا من التعجب..»

(٧٣) الدكتور جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص ٨٣.

(٧٤) الفرق بين ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

رسولا يقول له: نريد أن نعرف ممن أنت؟ فأحفظ ذلك الخليفة الفاطمي وتوترت العلاقات بينهما وخاصة بعد مقتل رسول الأمير البويهى بطرابلس وهو في طريق عودته إلى بغداد^(٧٥). كانت سياسة أمراء بني بويه المذهبية التي تنطوي على الانحياز إلى الشيعة^(٧٦) من العوامل التي ساعدت على انتشار النفوذ الفاطمي في بلاد العراق فقد شجعت هذه السياسة دعاة الفاطميين على نشر دعوتهم بحجة الدفاع عن حق آل البيت في الخلافة وقد لقيت هذه الدعوة في بلاد العراق وفارس نجاحا كبيرا بفضل النشاط الذي بذله الدعاة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري.

كان من بين هؤلاء الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي وقد لعب هذا الداعي دورا كبيرا في نشر الدعوة الفاطمية في بلاد فارس والأهواز والعراق واستطاع أن يستميل إلى الدعوة جموعا كبيرة من الديلم والأتراك وعددا من أمراء الشام والعراق^(٧٧).

كان المؤيد في الدين لا يترك فرصة دون متاعب كثيرة في شيراز^(٧٨) التي اتخذها مركزا لنشاطه في مستهل القرن الخامس الهجري^(٧٩) وكان أغلب خصوم المؤيد في هذا الاقليم من أهل السنة ومن الشيعة الزيدية وكذلك من الشيعة الموسوية للذين وجدوا في دعوة المؤيد في الدين انكارا لحقهم في الخلافة فأخذوا يؤلبون عليه الأمير البويهى أبا كاليجار^(٨٠) وقد شكوا المؤيد إلى أحد حاشية هذا الأمير من المعاملة السيئة التي يلقيها من أبي كاليجار وحاشيته في شيراز بقوله: «إن الدولة ديلمية والسلطان ديلمى وندماؤده ديلم خلص والقيامة قائمة علي من حيث أن المملكة كلها بالأمن محفوفة بالعدل مكنونة فلو كنت في ولاية محمود بن سبكتكين لمازداني على هذا فإن كانت الشرائط الديلمية لاتكاد توجب عليكم معشر خاصته أن تحاموا علي من ظلمه رغبة لله وقربة إلى أهل بيت رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أما يوجب عليكم ماتتقلبون فيه من نعمته أن تنصحو له، وتنهوه عن ظلمي وتنبهوه لما في ضمنه من المآثم والشدائد استحفاظاً لنعمته واستتباباً لدولته»^(٨١).

ولما بلغ الأمير أبا كاليجار شكوى المؤيد في الدين بعث إليه رسولا قال له: أن الأمير البويهى يرى في نشاطك فسادا في المملكة واجتهادا في ايقاع الفتنة بين الناس وسعيا في البروز إلى المصلى لإقامة الصلاة والخطبة للفاطميين ولولا ذلك لشمكك السلطان برعايته^(٨٢) غير أن المؤيد

(٧٥) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ص ٣٦.

(٧٦) الدكتور جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص ٨٣.

(٧٧) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ص ٥٥/١٠٩/١١٦/١٢٤/١٣٠/١٦٩، p. ٣٢٤. Bowenç the Last Buwayhids.

٢٣٥

(٧٨) قصبة اقليم فارس.

(٧٩) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ١٤ (المقدمة) ٦٨.

(٨٠) سيرة المؤيد في الدين، ص ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ وما بعدها وص ٥٧ - ٦٠.

(٨١) نفس المرجع، ص ١٣.

(٨٢) سيرة المؤيد في الدين، ص ١٣.

الدكتور محمد كامل حسين: مقدمة ديوان المؤيد في الدين ص ٢٦.

انكر أن يكون قد عزم على الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي وأبدى لرسول الأمير البويهري رغبته في نشر الدعوة في بلاد فارس برعاية الأمير أبي كاليجار وفي ظل دولته، كما طلب من رسول أبي كاليجار أن ينقل للأمير البويهري رجاءه بالحضور إلى مجلسه لسمع كلامه ويصغي لحججه في الرد على كلام المخالفين^(٨٣).

ثم كتب المؤيد في الدين خطاباً إلى الأمير أبي كاليجار شرح فيه حالته بأسلوب بليغ، فأثار ذلك الخطاب إعجاب الأمير البويهري، وسحره ببيانه^(٨٤). ولم يلبث المؤيد في الدين أن استطاع بسياسته استمالة الأمير البويهري إلى الفاطميين^(٨٥) فانتهاز فرصة خروجه للصيد واعترض موكبه وحظي بلقائه وكان هذا اللقاء أبلغ الأثر في نفس أبي كاليجار، فأمر وزيره^(٨٦) أن يكتب إلى المؤيد في الدين بالحضور إليه في أي وقت شاء فأجاب المؤيد دعوته، وصار يتردد على مجلسه وأبو كاليجار يزداد إعجاباً به ومحبة له ثم طلب منه الأمير أن يدون مناظراته حتى يتسنى له قراءتها بنفسه ويميز الصحيح والقسيم منها^(٨٧).

أثارت تلك المناظرات التي دونها المؤيد للرد على مخالفه إعجاب الأمير أبي كاليجار وملكته عليه مشاعره، فازداد تقرباً إلى المؤيد، وتعلقاً بالدعوة الفاطمية، ففي ذات يوم أسر الأمير البويهري للمؤيد في الدين برغبته في اعتناق هذه الدعوة وقال له:

«إني أسلمت نفسي ودينني وإنني راض بجملة ما أنت عليه» على أن لا يعلن ذلك في الناس أو يدعو الخليفة الفاطمي على المنابر^(٨٨) كذلك استقر الرأي بينهما على أن يجتمعا كل ليلة جمعة للمذاكرة والمفاتحة^(٨٩).

وصف لنا المؤيد في الدين المجالس التي كان يعقدها الأمير أبو كاليجار حيث لقن فيها مبادئ الإسماعيلية وأسرار الدعوة الفاطمية على يد المؤيد نفسه بقوله^(٩٠) فكانت كل ليلة جمعة أمكت عنده إلى أن يمضي هزيع من الليل وهو يسألني عن جميع ما يهيجس في نفسه وكنت أجيب عنه جواباً يظهر أكثره تباشير الفرح في وجهه، وأسأله كيف وقع هذا الجواب منك فربما حرك رأسه يعني أنه جيد فلا أرضى دون أن أقرره بلسانه أنه مداخل في مسامعه مثله قصداً مني لتندمه على فرطاته، وإقامة الحجة عليه يكون الحق فيما كان يحسبه والرشد فيما كان يظنه

(٨٣) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة، ص ١٤.

(٨٤) نفس المرجع.

(٨٥) الدكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢٣٤.

(٨٦) هو أبو منصور بهرام بن مافته الملقب بالعادل، وزر للأمير أبي كاليجار البويهري في فارس، وتوفي سنة ٤٣٣هـ.

(٨٧) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة، ص ١٥ - ١٦.

(٨٨) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة، ص ٤٣.

(٨٩) وهي مبادئ الشريعة التي كان يلقتها الداعي الفاطمي للمستجيب إلى الدعوة وتعتبر أول علوم الدعوة الفاطمية.

(السيرة المؤيدية، ص ٤٣، حاشية).

(٩٠) انظر: هبة الله الشيرازي: السيرة المؤيدية، ص ٤٣.

الدكتور محمد كامل حسين: ديوان المؤيد في الدين، ص ٢٧.

غياً وكان بناء المجالس التي تعقد بحضرته في ليالي الجمععات على أن يبتدئ بقراءة شيء من قوارع القرآن. ويشي بباب من كتاب الدعائم^(٩١) ويثك بأن يسأل عما يريده فأجيبه عنه، واختتم بالتحميد والخطبة لمولانا الإمام خلد الله ملكه، وله من بعده، ثم انصرف إلى منزلي ومن جملة ماكنت قررته معه أنني غير ناهية من استماع مايريد استماعه من أي لسان كان من أي مذهب كان. ولكن يرجع به إلي ويسألني عما عندي فيه فإن وجد الرجحان فيما عندي لزمه أن يرفض أقواله ويعمل بما هو أنجى له وأرجى لخلاصه معه.

غير أن هذه العلاقة بين الأمير أبي كاليبجار والمؤيد في الدين مالبثت أن تبدلت بسبب كيد خصوم الدعوة الفاطمية في فارس، وكيد حاشية الأمير البويهى نفسه التي وجدت في المؤيد في الدين منافساً لسلطانهم في مجلس الأمير، فعملت على إقصاء المؤيد والإيقاع به خاصة عندما قام المؤيد في الدين بتقبيح الشراب والخلاعة لدى الأمير البويهى. فمما قاله أحدهم للأمير أبي كاليبجار أنه اعتنق الدعوة الفاطمية ذات يوم، فلما تبين أنها تقوم على الكفر والإلحاد انصرف عنها^(٩٢) وعلى أثر ذلك قامت بين الفريقين منافرة قوية أغضبت المؤيد في الدين^(٩٣) ولم يزل خصوم المؤيد يثيرون أبا كاليبجار عليه حتى توفي الوزير العادل^(٩٤) الذي كان يعطف عليه، وخلفه في الوزارة مذهب الدولة الفسوي في سنة ٤٣٣هـ وكان يحقد على المؤيد لاعتقاده أنه ينافسه في تولي الوزارة، فانضم إليهم في تحريض الأمير البويهى عليه، فصاروا يخوفونه من خطر الدعوة الفاطمية على دولة بني بويه^(٩٥) فاضطر المؤيد أمام تلك الحملة الموجهة ضده إلى الرحيل إلى الأهواز، حيث أقام في مسجد قديم، فعكف على تجديده وكتب على محرابه أسماء الأئمة الفاطميين ثم أقام الأذان «بحي على خير العمل» ولم يكتفي المؤيد بذلك، بل كشف لأصحابه عن رغبته في إقامة الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي في صلوات الجمع وطلب مساعدتهم في ذلك فوافقوه على رأيه. فلما كان يوم الجمعة أمر المؤيد عشرين نقيباً من نقباء الدعوة الفاطمية بالصعود إلى سطح المسجد على أن يؤذّنوا جميعاً «بحي على خير العمل» فقامت ضجة في المدينة وكثر توافد الديلم على هذا المسجد حتى ضاقت المنافذ والمسالك، وصار الأمر يجري على ذلك كل جمعة^(٩٦) على أن هذه الحالة التي شاهدها مدينة

(٩١) وهو كتاب «دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام» وهو من كتب الفقه الاسماعيلي الأساسية، ومؤلفه هو القاضي أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي. وكان مالكي المذهب ثم اعتنق المذهب الاسماعيلي. يعتبر القاضي النعمان مؤسس لأسرة عظيمة عريقة خدمت العلم والثقافة والتأليف والنشر. كما ويعتبر واضع أسس الفقه الاسماعيلي بعد الإمام جعفر الصادق والمشرع الأكبر للدولة الفاطمية. (انظر عارف تامر: خمس رسائل إسماعيلية، ص ٩٠).

(٩٢) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة، ص ٤٤-٤٦.

(٩٣) ديوان المؤيد في الديوان داعي الدعوة، ص ٤٤-٤٦.

(٩٤) هو الوزير مذهب الدولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفسوي

(٩٥) هبة الله الشيرازي: السيرة المؤيدية، ص ٥٤.

الدكتور محمد كامل حسين: ديوان المؤيد في الدين داعي الدعوة، ص ٢٧.

(٩٦) نفس المصدر، ص ٥٥.

الأهواز لم تدم طويلاً فكتب قاضيها^(٩٧) إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يخبره بنشاط المؤيد في نشر الدعوة الفاطمية، وأشار عليه أن يبعث إلى الأمير البويهري رسولا يصرفه عن تشجيع هذه الدعوة في بلاده^(٩٨) فأنفذ الخليفة العباسي -الذي راعه انتشار الدعوة الفاطمية في الأهواز وإقامة الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي في مسجدها- أبا القاسم بن المسلمة رسولا إلى الأمير أبي كاليجار، فلما بلغ ابن المسلمة البصرة وجد أن الناس يتحدثون في المساجد والأسواق عن الغاية التي جاء من أجلها ففرغ من ذلك، ولم يجروا على دخول الأهواز خوفاً من الديلم وكتب إلى المؤيد في الدين يقول: «أنه بلغني تكاثر الأراجيف عليّ بكوني في شيء مما يتعلق بك وارداً، ونحو مضرتك قاصداً، وأنني علم الله بريء عما أنسب إليه، فإني أعلم أنك لجمهور الديلم يد ولسان، وماكنت من قلة العقل بحيث أتصدى لمزاحمة الديلم جميعاً بمنكبي، وأجعل سبيل مبالغتهم سبيلي ومذهبي، ولو أن مرسلني كلّفني ذلك لما تكلفته واستعفيت منه، ولكنني وردت لتعهد إقطاعه بالبصرة ومراعاة خصائصه»^(٩٩).

وكان الأمير البويهري أبو كاليجار وقتذاك في شيراز فلما وفد إليه رسوله الخليفة العباسي وسلمه رسالته راعه ما تضمنته من عبارات التهديد، وعزمه على الاستعانة بالسلاجقة للاستيلاء على بلاده والقضاء على ملكه إن لم يقبض على المؤيد في الدين ويرسله مقيداً بصحبة رسوله إلى بغداد، ويوقف من النشاط الفاطمي في بلاده^(١٠٠) فرأى أبو كاليجار الذي كان يطمح في تولي السلطة في بغداد بعد وفاة جلال الدولة^(١٠١) أن وجود المؤيد في الدين في بلاده سيحول دون تحقيق رغبته لذلك أنفذ إليه رسالة يحذره فيها من عاقبة بقائه في شيراز^(١٠٢).

اضطر المؤيد في الدين إلى الرحيل عن بلاد فارس بعد إنصراف أبي كاليجار عن تأييده، وسار متخفياً إلى العراق حيث نزل بدار الأمير^(١٠٣) منصور بن الحسين في الحلة^(١٠٤) وظل مقيماً بها نحواً من سبعة أشهر^(١٠٥) وفي خلال هذه الفترة توفي الأمير جلال الدولة سنة ٤٣٥ هـ وكان أبو كاليجار قد هباً نفسه لتولي الأمور في بغداد، فكتب إلى منصور بن الحسين طالباً منه إبعاد المؤيد الذي صار وجوده في بلاد فارس والعراق خطراً على دولة بني بويه، ومما جاء فيه: «إنك من

(٩٧) هو أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشتري، قاضي خوزستان وفارس، وكان شافعي المذهب، يدين بالولاء للخلافة العباسية. وقد توفي سنة ٤٣٦ هـ.

(٩٨) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ٥٥، ٥٦.

(٩٩) هبة الله الشيرازي: للسيرة المؤيدية، ص ٥٦، ٥٧.

(١٠٠) النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ص ٩٤.

(١٠١) سيرة المؤيد في الدين، ص ٧٣، ٧٤.

(١٠٢) سيرة المؤيد في الدين، ص ٦٤.

(١٠٣) هو الأمير منصور بن الحسين الأسدي الذي ملك الجزيرة الدبسية بجوار خوزستان سنة ٤١٨ هـ وقطع خطبة جلال البويهري وخطب للأمير أبي كاليجار. (ابن الأثير الكامل ج ٩، ص ٢٦٠).

(١٠٤) هي حلة منصور بن الحسين التي كانت تقع في الجزيرة الدبسية قرب الأهواز. وليست حلة دبس بن مزيد الواقعة بين بغداد والكوفة.

(١٠٥) سيرة المؤيد في الدين، ص ٧٣.

الشفقة على ملكنا ودولتنا بحيث لاتعتمد لأحد هودة فيه وقد عرفت صورة أبي فلان^(١٠٦) أحسن الله توفيقه وإننا كل يوم في صدام من جهة الديلم^(١٠٧) باحتجاجات باطلة يتشبثون بها ظاهراً وهو مغزاهم وغرضهم منها باطناً، ثم أنه قامت رغبتنا في بغداد وامتلاكها، وليس يكاد يتم الغرض فيه إلا بالمجلس الخليفي الإمامي^(١٠٨) وإذا استقر به العلم أن هذا الإنسان مقيم بفناء حضرته على جملة كان ذلك ردحاً في وجه مانوثر بلوغه، وحاجزا بيننا وبينه، وقد انتهى إلينا أنه على معاودة الأهواز، فآله الله أن توجده سبيلاً إلى ذلك فإنه إن عاود وقعت فتنة نصلي بنارها صلياً^(١٠٩) فاستقر رأي المؤيد على مفارقة منصور بن الحسين فسار إلى الكوفة ثم إلى حلة بني مزيد^(١١٠) حيث أقام بها فترة قصيرة ثم رحل عنها وسار قاصداً الموصل ليكون في حماية قرواش بن المقلد أمير بني عقيل. غير أن قرواشاً لم يطمئن إلى وجود المؤيد بين ظهرائه خوفاً من الخليفة العباسي، وأعرض عنه، ولم يعره اهتماماً فاضطر المؤيد إلى الانصراف عنه وسار قاصداً مصر سنة ٤٣٨هـ^(١١١).

صلى الله على خير مني

(١٠٦) وكان يعني المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي.

(١٠٧) كان كثير من الديلم في بلاد فارس والعراق يعتنقون الدعوة الفاطمية ويؤثرون الدولة الفاطمية على دولة بني بويه والخلافة العباسية.

(١٠٨) أي بموافقة الخليفة العباسي القائم بأمر الله.

(١٠٩) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ٧٣- ٧٤.

(١١٠) تقع في أرض بابل بين بغداد والكوفة.

(١١١) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ٧٤- ٧٥.

على مشارف قلعة ألموت

